مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 9 Issue : 4 Year : 2025

المجلد: 9 العدد: 4 السنة: 2025

في هذا العدد:

- منهج الإمام ابن الجوزي في توجيه المخصوص بالذّكر في تفسيره زاد المسير: دراسة تحليلية
عبد الله بن محمد بن عبد الله المرحوم، وخالد نبوي سليمان حجاج
- الإصلاح الديني عند العلامة القاسمي
محمد فاضل بورشا، والسيد سيد أحمد محمد نجم، ويوسف محمد عبده العوضي
- خرائط السيادة في الهدي النبوي: قراءة جيوسياسية لوحي القيادة وبناء الدولة
حسام وليد السامرائي
- ظاهرة الإسلاموفوبيا في هولندا الآليات والأسباب: دراسة وصفية تاريخية
محمد أزيمان، ومحمد السيد البساطي
- الترجمة كجسر حضاري: أثر العلوم الإسلامية في نشأة الاستشراق الأوروبي المبكر في القرن الثاني عشر الميلادي
أنس عبدالرحيم طحان
- الأساطير اليهودية المؤسسة للمشروع الصهيوني: أسطورة الأرض الموعودة
أريج محمد حوا
- [Upholding Universal Values: Civilizational Values During Qatar 2022 FIFA World Cup: A Documentary Study] التمسك بالقيم الإنسانية العالمية: القيم الحضارية خلال كأس العالم قطر 2022: دراسة توثيقية
زكريا محمد عبدالهادي
- عقيدة السفاريني الحنبلي في إثبات نصوص الصفات وموقفه من مدارس أهل السنة العقدية
غليوم سولاي، ومحمد أحمد عبد المطلب عزب
- نحو مفهوم معاصر لعدالة الشهود وتزكيتهم عن طريق الذّكاء الاصطناعي: دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الإماراتي
محمود حميدان، وإبراهيم توه بالا
- منهج الإمام أبي المعالي الجويني في الاستدراك على العلماء من خلال كتاب نهاية المطلب في دراية المذهب: استدراكه على والده أنموذجاً
محمد علي حاشي، وصلاح عبد التواب
- تطبيقات القواعد الفقهية الكبرى على الأحكام المستنبطة من سورة البقرة: دراسة استقرائية تحليلية
سليمان عبد الرحيم أيغورو، ونادي قبيصي سرحان، وخالد حمدي عبد الكريم
- إسهامات دولة ليبيا في رعاية المذهب المالكي: دراسة تحليلية
سهيل بن صابر المبروك، ومحمد عبدالرحمن سلامة
- منهج الحافظ الغماري في مسالك الدلالة على الرسالة واستخراج القواعد الأصولية والفقهية منه
توفيق المالكي، ومجدي عبد العظيم
- المسائل الفقهية التي نقل فيها ابن جزي الإجماع من خلال كتابه "القوانين الفقهية"– أحكام الوضوء أنموذجا: جمعا ودراسة
خالد بن بوزويد، ونادي قبيصي سرحان
- الزّينةُ الرَّقميَّة وأحكامها الفقهيَّة المعاصرة
قمزه بنت سالم بن راشد المري
- الحقوق الزوجية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية: دراسة تحليلية
يعقوب سعيد كيتا، ونادي قبيصي سرحان
- عمولة الالتزام في المصارف الإسلامية: دراسة اقتصادية فقهية
محمد أحمين
- أطوار حياة الجنين من الحمل إلى الولادة بين الشرع والطب
نورة راشد مقارح
- الانتحار بين التوراة والإنجيل والقرآن: دراسة تحليلية مقارنة
شوق مترك الدوسري
- المهارات اللغوية الاستقبالية والتعبيرية في تعليم اللغة العربية لأطفال طيف التوحد من الناطقين بلغات أخرى
عبير أحمد عبد التواب، وناجحة بنت عبد الواحد، وعرفان عبد الدايم محمد أحمد عبد الله
- المرأة بين الطبيعة البشرية والتشريع الإلهي دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم
سيف بن سالم بن سيف الهادي

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES
AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

eISSN 2600-7096

9 772600 709003

International Islamic Sciences Journal
Vol. 9, Issue. 4, Dec 2025
eISSN: 2600-7096
Al-Madinah International University
Copyright © 2025 Saif Salim saif Al-Hadi
Manuscript Received Date: 03/12/25 | Manuscript Acceptance Date: 20/12/25 | Manuscript Published Date: 30/12/25

DOI: https://doi.org/10.63226/iisj.v9i4.5784

المرأة بين الطبيعة البشرية والتشريع الإلهي دراسة تحليلية في ضوء القرآن الكريم

[Women between Human Nature and Divine Legislation: An Analytical Study in Light of the Qur'ān]

Saif Salim saif Al-Hadi [1]

[1] Assistant Professor at Sultan Qaboos University.

* Corresponding Author: s.alhadi@squ.edu.om

الملخص

تناول البحث موضوع المرأة وقدراتها العقلية وكرامتها الإنسانية وانتظام القيم الأخلاقية الأسرية على ضوئها، حيث يقدم القرآن الكريم صورة واقعية للمرأة والهدف من خلقها، وحقيقة تكوينها الخلقي، فهي قادرة على تفكيك القضايا وتحليها، والتنبؤ بمستقبل الأحداث والتخطيط لاستقامتها، وهو ما يجعلها شريكا فاعلا وبنفس القدرات مع الرجل. يحكم العلاقة بين الطرفين نظام دقيق يرعى الحقوق ويحدد الواجبات، دون أن يمنع استقلالية كل منهما في التفكير والرأي خاصة عندما يشكل ذلك تكاملا بينهما، كما أن طبيعتها التي تستوجب الاعتراف بوظيفتها ضرويه لاستقامة الأسرة وتحقيق معاني المودة والسكنى. لقد عالج البحث تأثير الثقافات الأخرى التي تحكمها الأسطورة والفلسفة واختراعات الكهنة ورجال الدين وحضورها اللافت في تعريف المرأة وتحديد أدوارها، مما ألقى بظلاله على بعض الكتابات في الحقل الإسلامي، في القديم والحديث.

الكلمات المفتاحية: المرأة، القدرات العقلية، الطبيعة، الحرية.

ABSTRACT

English Translation The study addresses the subject of women, their intellectual abilities, their inherent human dignity, and the alignment of family ethical values in light of these aspects. The Qur'an presents a realistic portrayal of women, the purpose of their creation, and the truth of their innate constitution. Women possess the ability to analyze and deconstruct issues, evaluate them, anticipate future events, and plan for upright conduct. This makes them active partners with men, possessing equal capacities. A precise system governs the relationship between the two genders, safeguarding rights and defining obligations, without restricting the independence of either party in thought and opinion, especially when such independence contributes to mutual complementarity. Recognizing the natural role of women is essential for maintaining family stability and achieving the values of affection and tranquility. The study also examines the impact of external cultures shaped by mythology, philosophy, and the inventions of priests and religious authorities and their notable influence on defining women and determining their roles, an influence that has cast its shadow on certain Islamic writings, both classical and contemporary.

Keyword: *Women, Intellectual Abilities, Nature, Freedom.*

مقدمة

تعد الأسرة البناء الأول للمجتمع البشري، فقد أراد الله تعالى لآدم وحواء عليهما السلام أن يكونا نواة التكاثر البشري في الحياة، وأن يتلقيا منذ البداية نسقا معرفيا موحدا، يعتمد على الطاعة المطلقة والتسليم لله؛ وبناء عليه فسيكون هذا المنهج هو الدستور الأخلاقي والتشريعي لكل الأجيال البشرية المتعاقبة، حتى تحفظ حالة السلام والاستقرار، وتبدأ الأداء الفعلي للهدف من الخلق، وهو العبادة والعمارة ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [سورة طه: 123] ؛ فالعبادة هي الهدف من الخلق، والعمارة هي الهدف من الوجود في الأرض، وعليه فإن الأسرة عندما تغفل عن هذا المعنى سيتمكن الشيطان من المراهنة على هذه الغفلة، ليطرح عليها فكرة التجاوز الفعلي لقيم الاستخلاف. وقد ذكر الله تعالى لنا أول مشهد التقى فيه المتمسك بقيم الاستخلاف مع المتخلي عنها، وهو هما ابنا آدم عليه السلام؛ حيث سيجاهد الأول في بقاء الحياة، ويعالج حالة التهديدات من أخيه بالقيم الإيمانية العالية، بينما سيصر الآخر على القتل؛ ومن هنا كانت الآية الثانية تعقيبا على خطورة الخروج عن المنهج، والمشكلات التي ستعاني منها البشرية جميعها، فقال الله تعالى ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَۛ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ [المائدة: 32]؛ ولأجل هذا فإن البحث سيجلّي معالم هذا الاستخلاف في الأسرة، ويؤكد على القضية الإيمانية وارتباطها بالأخلاق.

مشكلة البحث

تشهد المفاهيم المتعلقة بالمرأة وطبيعتها البشرية ووظائفها داخل الأسرة حالة من الاضطراب وعدم الانضباط، وذلك نتيجة تراكم تصورات تاريخية تأثرت بالأسطورة والفلسفة والقراءات الكهنوتية، إضافة إلى بعض المسلمات داخل الدائرة الإسلامية التي لا تستند إلى الدلالة القطعية للنص القرآني. وقد أدى هذا التداخل بين الموروث الثقافي والرؤية الشرعية إلى تشكيل صورة غير دقيقة عن قدرات المرأة العقلية ودورها التكاملي مع الرجل في بناء الأسرة والمجتمع. ومن هنا تظهر الحاجة الملحة إلى إعادة فحص هذه المفاهيم، وتحريرها من المؤثرات الخارجية، وبنائها بناء علميًا منضبطًا من خلال العودة إلى التصور القرآني الأصيل للطبيعة البشرية والتكامل الأسري.

الأهداف

1. التأكيد على صياغة المفاهيم المتعلقة بالأسرة وأخلاقها، ومفاهيم الحرية والمساواة من خلال الرؤية الإسلامية الخالصة.

2. مناقشة المسلمات الثقافية في داخل الدائرة الإسلامية وخارجها، ومعايرة ذلك بالثابت القطعي من النص.

3. تفكيك الرؤية الغربية للمرأة والأسرة، ومراجعة مصطلحاتها في ضوء الثابت المستقر في الإسلام.

أهمية البحث:

منذ وقت مبكر وعندما التقت الثقافة الإسلامية مع الثقافات الأخرى بدأ الحديث عن علاقة الرجل بالمرأة والقدرات التي تتساوى بينهما أو تختلف، والمهام الوظيفية التي يرعاها الطرفان. وقد كان للثقافة اليونانية الماهوية حضور لافت لدى فلاسفة المسلمين في بحوث الروح والنفس والجسد والعقل، ثم حضور آخر للثقافة اللاهوتية وتأثيراتها على مفهوم المرأة، وقصة الخلق. وجاءت الثقافة الغربية الحديثة لتعرض نماذج فلسفية أخرى مختلفة حسب فتراتها الحداثية وما بعد الحداثية؛ لتضع لمسة معرفية أخرى في علاقة أفراد الأسرة ببعضهم، وتطوير مفاهيم الحرية والمساواة. ولذلك فإن أهمية هذا البحث هو مراجعة المفاهيم الإسلامية بعيدا عن هذه التأثيرات، والتعرّف على الاخلاق الأسرية من مصدري الإسلام، القرآن والسنة. ومعايرة ذلك بما أفرزته ظاهرة المثاقفة مع الآخر، أو التثاقف أحيانا.

منهجية البحث

1- المنهج الوصفي التحليلي :وصف النصوص الشرعية المتعلقة بالمرأة والأسرة ثم تحليل دلالاتها.

2- المنهج المقارن :مقارنة الرؤية الإسلامية بالتصورات الغربية واللاهوتية القديمة حول المرأة.

3- تحليل المفاهيم :تفكيك مفاهيم الحرية، والمساواة، والطبيعة، ومعايرتها بالنص القطعي.

4- التحليل النقدي :نقد المسلمات الثقافية السائدة حول المرأة داخل الفكر الإسلامي وخارجه.

الدراسات السابقة

1. المرأة بين الفقه والقانون للشيخ مصطفى السباعي، ويتناول وضع المرأة من زاوية فقهية وقانونية، بينما هذا البحث يركّز على البُعد الفلسفي والعقدي لطبيعة المرأة وليس على الأحكام الفقهية فقط.

2. الحياة الزوجية في الغرب للدكتور صلاح الدين سلطان، يناقش المشكلات الأسرية في الغرب كالطلاق والتحلل الأخلاقي. أما هذا البحث فلا يكتفي بوصف الظواهر، بل يفسّرها ويقارنها بالرؤية الإسلامية وفق القرآن.

3. المرأة في جميع الأديان والعصور للدكتور محمد عبدالمقصود، وفيه يوثّق أوضاع المرأة عبر التاريخ والأديان، ويختلف هذا البحث في أنه يقدم قراءة قرآنية تحليلية تؤصل لمكانة المرأة، لا مجرد توثيق تاريخي.

الطبيعة البشرية للزوجين:

تنبني الأخلاق الأسرية في الإسلام على معرفة وثيقة بالطبيعة البشرية، وتتابع في توجيهاتها الفطرة الربانية، ولكي يكون هذا المعنى واضحا سنطرح السؤال التالي :

هل هناك اختلاف بين طبيعة الرجل والمرأة ؟

تتأسس النظرية المعرفية في سياقها الأخلاقي على وضوح المعنى المفهومي للأسرة في الإسلام، فالله تعالى الذي خلق آدم وحواء – السلف الأول للإنسان – وجعل كل واحد منهما زوجا للآخر، لهدفين ساميين، وتشريعين كريمين :

الهدفان :

1. السكنى والرحة النفسية، وهو أمر لا يتم إلا إذا كان بين الزوجين عهد غليظ يستبقي كل واحد منهما في دائرة الآخر ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم:21]

2. امتداد النسل وتكاثر البشرية على الأرض لتحقيق معنى الخلافة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:1] ومن هذا الهدف ستتوسع الدائرة البشرية، وتنقسم إلى دوائر صغيرة تضم كل واحدة شعبا وقبيلة، بيد أن الجميع يعود إلى الأصل الأول " كلكم لآدم وأدم من تراب" يقول الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات:13]، وعلى هذا فلا اعتبار للتمايز بين البشر، ولا أساس لفكرة الأعراق السامية والوضيعة.

تقدم هذه الرؤية الواضحة فروقا فصيحة مع جميع التصورات الأخرى التي تعتبر المرأة طرفا متأخرا في الوجود، خلقت للقيام بأدوار انتقامية من الرجل كما تصورها الثقافة اليونانية ، أو أنها نسيت كعنصر مهم في التكاثر؛ فقررت الآلهة خلقها لاحقا كما هو التصور الوثني عند الهندوسية ، أو أنها مخطئة أوقعت آدم عليه السلام في شرك الشيطان، فاندفع يأكل من الشجرة دون اكتراث، كما تصور ذلك نصوص التوارة المحرفة.

أما التشريعان :

1- يكون هذا اللقاء بين الرجل والمرأة وفق أسس شرعية تعتمد العقد والمهر أساسا أوليا لبناء الأسرة: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ [النساء:5]وعلى هذا فلا يعتبر الإسلام الصداقات، والاتفاقات الخاصة بين الجنسين باسم الحرية، فيحرم امتداد النظر إلى الطرف الآخر

بقصد الإشباع الغريزي، وبعد ذلك خيانة للميثاق الغليظ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: 6-5]، ويعتبر أن الجنسين شركاء في التزام هذا الجانب الأخلاقي، ومسؤولين معا عن مراقبة النظر ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّوا مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُوا فُرُوجَهُمۡ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾،﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ.. ﴾[النور:30-31]، ويزيد على المرأة تكليفا آخر يراقب المقومات الأنثوية، ويحذّر من استخدامها للإغواء ﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ... ﴾ [النور: 31]، كل ذلك من أجل توفير جو انفرادي عميق بين الزوجين، يحتفظ فيه كل واحد منها للآخر بالحب والتقدير، ويراعي الطبيعة البشرية التي ترفض الشراكة الجنسية في الزوجات، أو الخيانة في الأزواج، وقد أدى غياب هذه المعاني عند الغربيين إلى معاناة الرجل والمرأة معا، فالارتباط بينهما قائم على الاتفاق الشخصي دون ميثاق قانوني او التزام أخلاقي، يسميه زيجمونت باومان في الحداثة السائلة بالرأسمالية الخفيفة تلك التي تعني اللايقين وفك الارتباط بكل شيء "إن هذا التحول المشؤوم صورة من صورة من الانتقال من عصر الزواج إلى عصر المعاشرة، بكل ما يصاحب ذلك من مواقف وتبعات استراتيجية بما في ذلك افتراض الطبيعة المؤقتة للمعاشرة وإمكانية انتهاء العلاقة في أي لحظة ولأي سبب ما إن انقضت الحاجة أو انطفأت الرغبة"[1]. تطور هذا الأمر كثيرا – وفق ما نقله الدكتور صلاح الدين سلطان عن كتاب "الحياة الإمريكية"حتى تصاعد الشعور بالفردية وعدم الرغبة أن يسيطر أحد على الآخر، مما ساهم في تصاعد نسب الطلاق لأن كل واحد يريد أن ينال أقصى ما يمكن، ولايحب سيطرة الآخر عليه[2].

والحقيقة أن موضوع العلاقة الحرة بين الطرفين بدأت في عصر الحداثة عندما كانت أوربا تنطلق في رؤيتها للوجود من خلال المصلحة، حيث ستنتهي كل الارتباطات الأخرى التي يفرضها الدين أو المجتمع، ويبدأ عصر التحرر والفردانية؛ يحكي جان جاك روسو أن السفسطائية التي تقوم على نسبية المعرفة ومصدرية الإنسان عادت إلى أوربا من جديد لتصوغ مجموعة من القيم النفعية في فهم الحياة ومراجعة جميع المسلمات الدينية والاجتماعية؛ لقد تمكن بهذه الطريقة مثلا السيد "دي تافيل" أستاذ الفلسفة، من إغواء السيدة دو فارانس عندما أملا عليها المبادئ الجديدة "وكانت المبادئ التي لقنها إياها هي تلك التي وجدها ضرورية لإغوائها فلقد وجدها وفية لزوجها ولواجباتها، فاترة دائما، مفكرة، منيعة على الأحاسيس الشهوانية، فعمد إلى مهاجمتها بالسفسطة والمغالطات. وانتهى إلى إقناعها بأن واجباتها التي كانت متشبثة بها – لغو من تعاليم الدين التي وضعت خصيصا لتسلية

1 – باومان، زيجمونت، الحداثة السائلة، تر: حاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث- بيروت، 2016، ط:1 ، ص 217.

2 – سلطان، صلاح الدين، الحياة الزوجية في الغرب مشكلات واقعية وحلول عملية ، ص 4.

الأطفال، وأن الاتصال الجنسي –في حد ذاته– هو أقل التصرفات أهمية، وأن الوفاء الزوجي محض التزام ظاهري، كل قيمته الخلقية مجرد رأي ... وأن راحة الأزواج هي الأصل الوحيد لواجبات النساء ومن ثم فإن الخيانات المجهولة –التي لا يكون لها أثر لدى من ترتكب ضدهم، لأنهم لا يدرون بها لا أثر لها على الضمير كذلك ! .. ومجمل القول أنه أقنعها بأن الأمر لا قيمة له في حد ذاته، وأنه لا يكون ذا شأن إلا إذا أفتضح، وأن كل امرأة تبدو فاضلة إنما تدين بمظرها الفاضل لهذا السبب وحده . وهكذا وصل الوغد إلى غايته، فأفسد عقل طفلة، ولكنه لم يقو على إفساد قلبها"[1].

2- لا يتم الانفصال إذا حدث الطلاق بين الزوجين واختتموا المشهد الجميل بالفراق إلا وفق أسس أخلاقية كريمة أخرى تضمن لكلا الطرفين حقا كاملا من الآخر، وتنهى عن انتهاء المودة إلى القسوة، وتحويل الرحمة إلى الغلظة، حتى لا تبقى تجربة الزواج الأولى مصدرا أبديا للألم، ومساحة واسعة لسوء الأخلاق، فكما كان الإمساك بالمعروف فإن التسريح بالإحسان ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ... ﴾[البقرة:] وعلى هذا فإن ما يحدث من خصومة شرسة بين الزوجين لحظة الفراق لم يكن داخلا في الدائرة الأخلاقية التي اشترطت للطلاق، ويتبع ذلك إلزام الطرف الأقوى وهو الزوج برد جميع الحقوق المالية لزوجته، والابتعاد عن ابتزازها أو إجبارها على ترك حقها المالي لصالح الطلاق إلا إذا اختارت بنفسها الطلاق في مقابل المال : ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [البقرة:229]. **مفاهيم الطبيعة والحرية:**

أعطى الإسلام منذ البداية في قصة الخلق عددا ضروريا من المفاهيم المتعلقة بالطبيعة التكوينية للرجل والمرأة، والقدرات العقلية عندهما، وميزة مشتركة في الاستيعاب والتفكير والتراجع، وهو معنى منتشر في جميع رسالات الله، إلا أن الرسالات السماوية السابقة تعرضت للتحريف(عليان،ص3)، واستسلمت للأوصاف الطبيعية والأحكام التقييمة التي أنتجتها الحضارات الوثنية، فتم تصوير المرأة بأنها شريرة، وضعيفة التفكير، وأن استحقاقها للحياة أو الكرامة يمر عبر إرادة الرجل وتقييمه للمواقف، ومدى حاجته إليها، أو استغنائه عنها[2] .

ونشأ من مجموع تلك الثقافات الوثنية عدة مفاهيم لا تزال مؤثرة إلى اليوم :

–المرأة شريرة خلقت لعقاب الرجل عندما حاول أن يسئ إلى الإله[3].

1 – روسو، جان جاك، الاعترافات، ترجمة خليل أحمد خليل، ج1، ص128.

2 – عبدالمقصود، محمد، المرأة في جميع الأديان والعصور، مط: مدبولي، القاهرة، ط1،1983.ص16.

3 – المقدم، محمد أحمد إسماعيل، عودة الحجاب، دار طيبة للنشر، السعودية، ط10، 2006،2007، 27/2.

-المرأة الأولى ليليث رفضت آدم عليه السلام في الجنة وأعلنت عصاينها الأول، ثم استبدلت بحواء عليها السلام، فاختارت أن توقع بالرجل عن طريق التحالف مع إبليس (اليهودية)[1].

-لم تكن المرأة موجودة عندما بدأ خلق الرجل من الإله بروشا، ولذلك فهي لا تتمتع بقيمة حقيقة، ويبقى موضوع كرامتها مرتبطا بالرجل، وله الحق في بيعها أو قتلها أحيانا، فإن فاته هذا فعليها أن تقتل نفسها بعد موته (الهندوسية)[2].

-خلقت المرأة من ضلع أعوج، وقد أثر هذا على تفكيرها واستقامتها، وانتقلت بعض هذه المعاني عند بعض شرح الحديث النبوي[3] ، والمفسرين[4].

ترتب على هذه النظرة إلى المرأة مواقف أخلاقية تسمح للرجل أن يسكب سيلا هادرا من الكلمات الجارحة دون ضجة، تنتهي في أحيان كثيرة بقتلها بدنيا أو نفسيا. ولا تخطئ هذه الكلمات وصفها بضعف التفكير والمكر، والشر[5]. ورغم أنه لا يبدو في الممارسة العملية عند المرأة شيء يصدق هذا الادعاء في الواقع، إلا أن الأسس الفكرية لهذا الإجراء هي الملهم الأول في هذا التصور، مما سمح للرجل لحظة المحاكمة أن يعتمدها مصدرا في التقييم، وأن يجبر المرأة على قبولها كجزء من الإيمان بالتراث.

ولا يختلف الحال عند الفلاسفة فهم أبناء بيئة تجعل المرأة في المراتب الدنيا، وتدعم هذه الدعوى بالتراث الديني والميثولوجيا، فلا يجد الفيلسوف أي غضاضة في تأكيد هذه الدعوى فالقدرات العقلية عند المرأة متدنية، لا تسمح بإخالها في الحد المنطقي " حيوان ناطق" إلا بدرجة ضعيفة فسقراط يرى أن "النساء يولّدن الأجساد، أما الفلاسفة فيولّدون الأرواح و"يقول أرسطو: "أن المرأة لا تصلح إلا للإنجاب، وأنه لا يمكنها أن تمارس الفضائل الأخلاقية مثل الرجل، فهي مجرد مخلوق مشوه أنتجته الطبيعة. أما أفلاطون، صاحب كتاب "الجمهورية"، والمعروف بمدينته الفاضلة؛ فيرى أن المرأة أدنى من الرجل في العقل والفضيلة، وكان يأسف أنه ابن امرأة، ويزدري أُمّه لأنها أنثى، وفي كتابه الجمهورية ألغى أفلاطون الفراق الطبيعية بين الرجل والمرأة، ونادى بشيوع المرأة والأطفال[6]. والوصف الذي أكدته الكنيسة لاحقا حينما تماهت مع الثقافة اليونانية فوصفها القديس يوحنا "ليس هناك بين كل الوحوش المفترسة من هو أشد أذى وضررا من المرأة" ومثله القديس أوجستين إن الرجل هو الروح

1 – السباعي، مصطفى، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام، الإسكندرية، ط4 ، 2010 ص56.

2 – محمود، المرأة بين النصوص والتفسيرات الحديثة، ص38.

3 – النووي، يحي بن شرف، *شرح صحيح مسلم*، ج10، ص57.

4 – الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، ج3، ص14.

5 – عبدالمقصود، ص27-35.

6 – إمام، عبد الفتاح، أفلاطون والمرأة، ص221.

السامية ، وأن الأنثى هي الأدنى ذات الجسد، والشهوة الجنسية،، وأن الرجل في صورة آدم هو الزوج ، وهو صورة من صور الله . وأن حواء حينما جاءت فقط لتكون زوجة وأم لتلد أطفالها"[1].

ماذا في القرآن الكريم

لا يضم القرآن الكريم في قصة الخلق شيئا من هذه المفاهيم، وإنما على العكس يؤكد على تماثل الرجل والمرأة في الطبيعة والقدرات النفسية والفكرية، وليس ثمة ما يدعو من خلالهما إلى التمييز، وفيما يلي توضيح ذلك

القدرات العقلية

-توجه الخطاب بسكنى الجنة إلى كل من آدم وحواء، وهو " أمر " يفهم منه الطاعة والإذعان: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف:19]

-طلب من الإثنين أن يأكلا من جميع أشجار الجنة المثمرة ما عدا شجرة واحدة، وهو أمر ونهي ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾[البقرة:35]

-حُذِّر الاثنان من عداوة الشيطان، وأن خطة الإغواء التي يعتمدها ستكون على حساب إخراجهما من الجنة وهو "انتباه واستيعاب" ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:117]

يفترض التكليف " الأمر، والنهي " أن المكلف يمتلك قدرة عقلية كافية لاستيعاب الأمر والنهي: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [المؤمنون:62] وقدرة متساوية في معرفة النتائج المترتبة على المخالفة، ويمتلك يقظة أخرى ترتب المقدمات بطريقة منهجية لمعرفة المجهول، وهو أعلى مراتب التفكير عند الإنسان، لم يلحظ فيه أي تفريق بين الإثنين: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:97] ولتوضيح ذلك نحتاج إلى تتبع التفاصيل الدقيقة في **قصة الخلق**

﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾[ص]

1 – التميمي، إبراهيم بن علي بن محمد، المرأة في الفكر الكنسي ومقارنته بالمنظور الإسلامي، ص3.

-اقتضت حكمة الله أن يخلق الإنسان، وأن يعلن ذلك للملائكة الكرام.

-طُلب من الملائكة السجود بعد نفخ الروح مباشرة دون أن يعلموا شيئا عن ماهية الإنسان أو مستقبله الأرضي، وتلك هي قمة الطاعة.

-رفض إبليس السجود دون حجة منطقية سوى العلو والاستكبار .

-قضت عدالة الله أن يسأل عن سبب رفضه رغم علم الله تعالى بكل شي، وسبب السؤال كما يقول ابن عاشور: " وفي إلقاء هذا السؤال إلى إبليس قطع بمعذرته. والمعنى: أمن أجل أنك تتعاظم بغير حق أم لأنك من أصحاب العلو، والمراد بالعلو: الشرف، أي: من العالين على آدم فلا يستحق أن تعظمه فأجاب إبليس مما يشق الثاني. فتبين أنه يعد نفسه أفضل من آدم لأنه مخلوق من النار وآدم مخلوق من الطين ، يعني : والنار أفضل من الطين ، أي : في رأيه[1].

-قدم قياسا خاطئا يقضي بفضل النار على الطين، ونسي أن نفس الاعتراض على الأمر عصيان، كما نسي أن الإيمان بالحكمة المطلقة يسحب أي تبرير يظن المخلوق أنه عقلي.[2]

-رفض الاعتراف بالخطأ وطلب الغفران.

كان هذا المشهد كافيا لمعرفة النبوءات المستقبلية عن إبليس عند كل من آدم وحواء عليهما السلام، وأن هذا الشيطان لا يمكن أبدا أن يكون مصدرا موثوقا للنصحية أو الحكمة. وهو يلزم بدلالة الإشارة أن الشيطان خبيث وشرير مما يعنى أن مفهوم العدواة المتأصل فيه قدر نهائي غير قابل للتغيير.

لحظة الإغواء

تتحدث آيات القرآن الكريم عن اشتراك آدم وحواء في الاستجابة لوسوسة الشيطان، واستسلامهما معا للغة الخطابية التي قدمها، مثمرا حبهما لله من خلال استخدامه في القسم، ومتمكنا من عزل التفكير عن لحظ التذكر للأمر الإلهي أو البحث في أبعاده المستقبلية، وقد ظهر في هذا المشهد أن طبيعة كل من الرجل والمرأة واحدة في الاستسلام لهذه الوساوس، وأنهما سيخاطبان معا بجسامة الخطأ، ويتعرضان للنتيجة المباشرة دون تمييز. ووفق العدالة الإلهية فإن المرأة لو كانت تمتلك قدرة عقلية أقل، أو كانت طبيعتها لا تتماسك أمام الإغراء لما تلقت نفس النتيجة والعتاب، لكن شيئا من ذلك لم يحدث فلزم وفق هذا القياس الاستثنائي أن يكون كل منهما على

1 – ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج23، ص303.

2 – يقول ابن عاشور أيضا في نفس الموضع:" وَقَدْ جَعَلَ إِبْلِيسُ عُذْرَهُ مَبْنِيًّا عَلَى تَأْصِيلِ أَنَّ النَّارَ خَيْرٌ مِنَ الطِّينِ وَلَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ اللَّهَ رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا التَّأْصِيلَ لِأَنَّهُ أَحْقَرُ مِنْ ذَلِكَ فَلَعَنَهُ وَأَطْرَدَهُ لِأَنَّهُ ادَّعَى بَاطِلًا وَعَصَى رَبَّهُ اسْتِكْبَارًا: وَطَرْدُهُ أَجْمَعُ لِإِبْطَالِ عِلْمِهِ وَدَحْضِ دَلِيلِهِ"

نفس المستوى الطبيعي والفكري، وأن يعلنا معا التوبة والاعتراف بظلم النفس التي زودت بما يكفي للوعي والانتباه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:23].

لم تكن حواء إذن طرفا مؤثر في الخطأ، ولم تؤثر طبيعتها في رسم صورة الأحداث أو مستقبلها الأرضي[1]، ولكن يبقى سؤال واحد :

لماذا كان الخطاب في كل مرة لآدم عليه السلام وليس لحواء ؟

ليس الأمر صعبا، فآدم عليه السلام هو أول الخلق وعليه سيعتمد موضوع التكليف بالخلافة، لأنه رجل يتحمل من الأعباء والمواجهة الجماهيرية ما لا تتحمله المرأة، وهو ما جرت عليه نسقية الرسالات السماوية حينما اعتبرت النبوة خاصة بالرجال، ولذلك كان الوحي بالكلمات ابتداءً إلى آدم عليه السلام، ولكن التنفيذ كان مشتركا بين الإثنين: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:23]، ومع ذلك فإننا نجد في القرآن الكريم أن المرأة في لحظة صناعة التاريخ المفصلي تتلقى وحيا خاصا من الله تعالى على سبيل الإلهام أو التكليف وليس النبوءة، كما حصل لأم موسى عليها السلام : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص:7] ولمريم عليها السلام : ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم:17-18]، وهذا يعني بالضرورة أنها تمتلك القدرة على المواجهة بدعم إلهي خاص، إذ لا تتحمل طبيعتها التكوينية الآثار النفسية عندما يتعلق الأمر بالأبناء أو الشرف، لأنها بدون حماية ستتعرض للإيذاء أو القتل، ففي حق أم موسى عليه السلام يقول الله تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص]، أما مريم عليها السلام فسوف تواجه تهمة تلاحق وجودها الاجتماعي في البلاد، وتحكم بشقائها الأبدي : ﴿ يا أُختَ هارونَ ما كانَ أَبوكِ امرَأَ سَوءٍ وَما كانَت أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [مريم] وثمة ملحظ آخر فإن هذه الأحداث تمهيد لبعث رسول استثنائي تكون المرأة حاضرة في صورته.

الطبيعة البشرية

تعطي هذه الرؤية الكريمة عن المرأة بعدا أخلاقيا عظيما، فهي شريكة للرجل في صناعة الحياة، ولديها من القدرات العقلية والإرادة الحرة ما لديه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ... ﴿٢٢٨﴾ [البقرة:228] وأنها منتجة في

1 – تكاد الميثولوجيا الهندية واليونانية والصينية تتفق في تحميل المرأة مسؤولية الخطيئة، والشقاء والعذاب، وعلى ذلك جرت التحريف في التوارة والإنجيل، فالمرأة هي التي تسببت في أكل آدم عليه السلام للشجرة (بوجدرة،2018،ص 464 -465)

جوانب الحياة المختلفة العلمية والعملية، ولديها القدرة على إدارة الشؤون السياسية بالطريقة التي تسمح للشعب أن يشارك في الخطط والاستراتيجيات: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ [النمل: 32] وتحرص بحكمتها على كرامة شعبها والبنية الحضارية التحتية: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل] فتختار طريق المفاوضات على الحرب : ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل] وتحافظ على خط الرجعة عندما تكون أمام الاختبار، فلا تعطي الإجابة الأخيرة : ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النمل] وتعتذر لله عندما يختلف مقصدها مع الواقع: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾[النمل:36] وتعمل عمل الاستخبارات بقدرة فائقة: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾[القصص:11] وتتمكن من تضليل العدو بعبارات لا تسمح بالشك : ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ ﴿١٢﴾[النمل] (الهادي،2014، 10) .

تقدر أنوثتها فتمشي على استحياء: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ... ﴾[طه:25] وتحاور في حاجتها بأدب : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ [طه:23]وتعبر عن حبها بالتورية الأخلاقية: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص:26].

وفي مجال اختبار القيم وكشف زيف الشعارات تدبر مكيدة للإيقاع بالخصم: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف:31] ثم تعتذر في مكر وأدب عن صعوبة الموقف : ﴿ قالَت فَذَٰلِكُنَّ الَّذي لُمتُنَّني فيهِ ... ﴾[يوسف:32] وتتجنب جرح مشاعر الحاضرات، لكنها تستثمر الموقف لتحقيق رغبتها بتأثير المباركة الاجتماعية: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف:31] .

وهي أيضا تتقدم بثقة عندما تكون على خطأ: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف:51] [يوسف:51] ، وتنفي عن نفسها التهمة التي تسبب الإزعاج: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف:52] ، وتعلن عن طبيعة النفس البشرية عندما تغلبها السوءات : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف:53].

وفي مشهد آخر تنظر للبعيد : ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [القصص:9] ، ثم تراقب القيم والأخلاق، وتحافظ على هدفها الأول، فلا تُسجل عليها زله، ولا تتقدم منها إساءة: ففي هذه الآية التي أعلنت فيها عن استقبال موسى عليه السلام خرجت من الوصف الإلهي للعائلة الملكية بالخطيئة: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩﴾ [طه:9]، ثم تنتهي إلى الإسلام، وتخلو مع الله، تدعوه أن يبني لها بيتا في الجنة؛ ومن أدبها تقدم الله على البيت: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التحريم:11] ومن أدبها تستسلم لله مع سليمان وليس له: ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[يوسف:44].

تعطي هذه الآيات بيانا شافيا في التماثل الخلقي والعقلي والطبيعي بين الرجل والمرأة، وتمنع أي فرصة لاستمداد تقييمات أخرى لا تتفق مع هذه الأوصاف، ويكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "النساء شقائق الرجال"[1]، وهو ما يعني من حيث اللغة المماثلة الكاملة، مع بقاء الاختلاف البدهي في الطبيعة الوظيفية لكل منهما، لكن ذلك لا دخل له في القدرات العقلية، والطبيعة التكوينية والنفسية.

ومن هنا فإن الأخلاق الإسلامية تفرض على المسلم أن يعامل المرأة على أساس أنها خلق كامل لله، تمتلك من القدرات الفكرية والطبيعة البشرية ما يجعلها صالحة لأن تكون نصفه الثاني وأحد ركني الحياة الدنيوية والأخروية .

التأثيرات الثقافية

لا يجادل أحد في أن ثمة صور استثنائية في البدان المسلمة تجعل المرأة في مراتب متأخرة، وتضغط في اتجاه تهميشها، أو الحد من حراكها الاجتماعي والعلمي، كما يحدث في حكومة طالبان مثلا[2]، أو بعض البلدان المسلمة، لكن ذلك لا يعبر عن الرؤية الإسلامية بقدر ما يعبر عن ثقافة تلك البلدان، وعاداتها وتقاليدها، فالثقافة بمفهومها العام هي التي تشكل واقع المرأة وترسم حدودها في الحركة والمشاركة، أما الأساس الموضوعي الذي يعتبر المرأة كيانا مهما في صيرورة الحياة وبناء الحضارات فهو ما قدمناه من التأصيل.

1 – وأبو داود في السنن 1/ 161 – 162، كتاب الطهارة (1)، باب في الرجل يجد البلة في منامه (95)، الحديث (236).

2 – هويدي، فهمي، طالبان: جند الله في المعركة الغلط، ص69.

والشعوب التي تمتلك رؤية دينية منصفة للمرأة وتعتبرها كيانا كامل الخلقة والإدراك، تكون قابلة للتغير والمراجعة، بناء على معايير الاحتكام الدينية، وهذا ما يتميز به المسلمون في كل العصور، أما محاولة تشويه هذه الصورة فهي بسبب الصراع الحضاري عندما تكون أحد نتائج الهيمنة السياسية والإعلامية. دوّن مرصد الأزهر مقتطفات من كلام الكاتبة الإسبانية "ناتاليا أندوجار تشيفروليير" في مقال لها بعنوان: "المرأة المسلمة في إسبانيا: الواقع والتحديات": أن هناك مساواة بين الجنسين في الإسلام، وأشارت إلى أن هناك انتقادًا لوضع المرأة في الإسلام في معظم الدراسات الأكاديمية الأوروبية، ولكنها في النهاية تعبر عن وجهة نظر شخصية، ولا يمكن تعميمها. وبشكل عام، يقتصر الأكاديميون في إسبانيا على استنساخ النصوص الكلاسيكية في القرون الوسطى، ويولونها أهمية غير مستحقة دون التحقق من صحتها، مع إخفاء مساهمات النساء المسلمات على مر العصور، خاصة في الوقت الحاضر، مما يسلط الضوء على قضيتين مهمتين أولهما: الرؤية النمطية للإسلام والمسلمين من ناحية، والتي تغذي الإسلاموفوبيا، وحقيقة مساهمة المرأة المسلمة في الحركة النسوية في إسبانيا من ناحية أخرى. وأضافت " ناتاليا" أن صورة المرأة المسلمة التي تحملها وسائل الإعلام الإسبانية هي صورة نمطية، يتم تصويرها على أنها خاضعة ورجعية وسلبية، وغير اجتماعية وينظر إليها على أنها "إرهابية محتملة"، وذلك لسهولة استقطابهن. كما ذكرت أن وسائل الإعلام تؤكد على تعامل الإسلام مع المرأة بطريقة وحشية –حسب وجهة نظر هذه الوسائل– بسبب عدم التوافق بين الحداثة والإسلام، أو بالأحرى أن "النساء ضحايا الإسلام"، ويرى العديد من الغربيين أن الحجاب هو رمز لاستبعاد النساء"[1] .

المودة والرحمة

يؤكد الإسلام منذ البداية وعبر تشريعات قبلية أن هذا اللقاء يجب أن يتأسس على نية الدوام والبقاء، وأن يمتد طويلا تحت سقف الحب، وأن يزاد مع مرور الأيام متانة وتماسكا، ولذلك رغب في أن يكون الزواج مبنيا على قناعة تامة، تبدأ من انتقاء الأسرة الطيبة والأخلاق النبيلة في المرأة: "تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[2] ، وفي الرجل " إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ "[3]، وتنتهي بالنظر المباشر من أجل القناعة والاطمئنان، وحالما اكتملت الإجراءات الضرورية في حصول الثقة بين الطرفين يبدأ العقد ويدخل الطرفان في الميثاق الغليظ.

1 – مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، المرأة المسلمة في إسبانيا: الواقع والتحديات، 16 مارس 2021، ص1.

2– أخرجه البخاري، باب الأكفاء في الدين، ص 398 ،رقم الحديث 5090

3– أخرجه الترمذي، باب ما جاء في من ترضون دينه، 386/3، رقم الحديث 1084 .

الخاتمة

إن قراءة الإنسان من خلال القرآن الكريم يضعنا أمام لحقيقة الماهوية للطبيعة البشرية، سواء كانت هذه الطبيعة بجيولوجية أم فكرية، وتكتسب هذه القراءة صدقها من خلال مصدريتها لأنها من خالق الإنسان والحياة (.....) ولأنها مطابقة تماما للواقع، ولذلك ففي جميع المحطات السابقة بيان فصيح لأحد ركني الحياة البشرية وهي المرأة، كيف تؤدي دورها الحيوي والفكري بعيدا عن الفلسفات أو الأساطير، وفي سياق يحفظ كرامتها ويعترف بقدراتها، ويمنحها استقلال تاما في رؤيتها للأشياء ومسؤولية تنطلق من مساحة الحرية المماثلة للرجل، بيد أن هذه المحطات أكدت على مبدأ التكامل مع الرجل تكاملا تتبادل فيه أدوار القيادة أحيانا، وتتحد أحيانا أخرى، وتوازيه تارة ثالثة، وفي كل الأحول فإن الإطار المنهجي لا يعتبر هذه الاستقلالية جنسية، ولا يسمح برفعها إلى مستوى الكراهية والعداوة كما تدعو إلى ذلك النسوية الثقافية، وإنما يؤكد على المماثلة الفكرية والمسؤولية الدنيوية والأخروية انطلاقا من قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: 35]. وبهذا فإن منهج النظر إلى المرأة وطبيعة خلقتها وأدوارها الوظيفية لا يتم بصورة صحيحة إلا من مصادر الوحي، ولا يمكن أن تنضاف إلى هذا رؤية أخرى لأنها ستزيد بما لا تطيقه المرأة، أو تنقص بما يهضم حقها.

النتائج

1- المصدر الوحيد الذي يعطى فهما عميقا للظاهرة الإنسانية هو الوحي، فوفق جميع الرسالات يعيش الرجل والمرأة تكاملا في بناء الحياة وتحقيق الخلافة

2- يكشف القرآن الكريم عن القدرة العقلية عند المرأة، ومهارتها في التفكيك والتحليل وبناء القضايا، والاستنتاج والتنبؤ، وهذا يختلف تماما مع التظيرات الفلسفية القديمة والتقديرات العلمية الحديثة

3- تحملت المرأة طوال تاريخها أولوانا من الاضطهاد الفكري والجسدي، واعتبرت في أصعب فتراتها شيطانا أو حية سامة، وفي أبشعها صورة حرقها وهي حية.

4- قاد البحث إلى ضرورة عرض المسلمات القبلية عن المرأة في العالم الإسلامي على القرآن الكريم، ومراجعة هذه المسلمات في ضوء الدلالة الواضحة عن طبيعة المرأة ووظائفها.

يعد هذا البحث ورقة أولية عن مكانة المرأة ودورها الحيوي في بناء الأمم والشراكة في مسارها الحضاري، وستأتي الأجزاء الأخرى – بحول الله – مكملة لهذه المعاني ومؤكدة على حضورها في مصادر الإسلام الحنيف.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Ibn Ashur, M. al-T. (1984). *Al-Tahrir wa al-Tanwir: The refinement of the sound meaning and the enlightenment of the new mind in the interpretation of the Glorious Book*. Tunisian Publishing House.

[2] Imam, A. F. (1996). *Plato and women* (2nd ed.). Madbouly.

[3] Abu Dawud, S. ibn al-A. al-A. al-Sijistani. (2009). *Sunan Abu Dawud* (Ed. Shu‘ayb al-Arna'ut, 1st ed.). Dar al-Risalah al-'Alamiyyah.

[4] Al-Tirmidhi, M. ibn ‘Isa. (1996). *Sunan al-Tirmidhi* (Ed. Bashar ‘Awwad Ma‘ruf, 1st ed.). Dar al-Gharb al-Islami.

[5] Bauman, Z. (2016). *Liquid modernity* (H. Abu Jabir, Trans.). Arab Research Network.

[6] Al-Bukhari, A. ‘Abdullah M. ibn Isma‘il al-Ju‘fi. (1993). *Sahih al-Bukhari* (Ed. M. Dib al-Bughā, 5th ed.). Dar Ibn Kathir & Dar al-Yamama.

[7] Abd al-Maqsud, M. (1983). *Women in all religions and eras*. Madbouly.

[8] Al-Siba'i, M. (2010). *Women between jurisprudence and law* (4th ed.). Dar al-Salam.

[9] Al-Salihi, S. R. (2013). *The deity Lilith*. Bayt al-Hukm.

[10] Rasho, ‘I. al-D. *Lilith: The truth about the wife of the second Adam*. [Publisher and date not provided].

[11] Al-Muqaddim, M. A. I. (2006). *The return of the veil* (10th ed.). Dar Taybah for Publishing.

[12] Al-Azhar Observatory for Combating Extremism. (2021, March 16). *[Title not provided]*. [Website link not provided].

[13] Sultan, S. al-D. (2005). *Marital life in the West: Real problems and practical solutions*. Scientific research presented to the Fourteenth Session of the European Council for Fatwa and Research, Istanbul, Turkey, June 29–July 3, 2005.

TRANSLITERATION

a. Consonant

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ء	ʾ	فَأْرٌ	faʾrun
أ	(a,i,u)	أَحكَام	aḥkām
ب	b	بَابٌ	bābun
ت	t	تَمْرٌ	tamr
ث	th	ثَلاَثَ	thalātha
ج	j	جَبَلٌ	Jabal
ح	ḥ	حَدِيث	ḥadīth
خ	kh	خَالِدْ	khālid
د	d	دِين	dīn
ذ	dh	مَذهَب	madhhab
ر	r	رَاهِبٌ	rāhib
ز	z	زَكِي	zakī
س	s	سَلاَم	salām
ش	sh	شَرَبَ	sharaba
ص	ṣ	صَدْرٌ	ṣodrun
ض	ḍ	ضَار	ḍār
ط	ṭ	طَهُرَ	ṭahura
ظ	Ẓ	ظَهْرٌ	ẓhohr
ع	ᶜ	عَبْدٌ	ᶜabdun
غ	gh	غَيبٌ	ghayb
ف	f	فَاتِحَةٌ	Fātihah
ق	q	قَبَسٌ	qabas
ك	k	كِتَابٌ	kitāb

ل	l	لَيلٌ	layl
م	m	مُنِير	munīr
ن	n	نِقَابٌ	niqāb
و	w	وَعَدَ	waᶜada
هـ	h	هَدَفٌ	hadaf
ي	y	يُوسُف	Yūsuf

b. Short Wovel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ـَ	a	كَتَبَ	kataba
ـِ	i	عَلِمَ	ᶜalima
ـُ	u	غُلِبَ	ghuliba

c. Long Wovel

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
ا ، ى	ā	عَالَمَ ، فَتَى	ᶜālam , fatā
ي	ī	عَلِيم ، دَاعِي	ᶜalīm , dāᶜī
و	ū	عُلُوم ، أُدعُو	ᶜulūm , ʼudᶜū

d. Diphthong

Arabic	Latin	Example	
		Arabic	Latin
أَو	aw	أَولَاد	aulād
أَيّ	ay	أَيَّام	ayyam
إِيّ	iy	إِيَّاكَ	iyyāka